

الربيعية

الحديث الثامن والعشرون

ضوء الثريا شرح حديث  
"من عاكى لى وليا"

وكتبه / أيمن إسماعيل

### \*\*\* بسم الله الرحمن الرحيم \*\*\*

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " (آل عمران/102)  
" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (النساء/1)

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُؤَلُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا " (الأحزاب/71-70)  
أما بعد

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

#### \* نص الحديث :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

" إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرُدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرُدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "

#### \* تخریج الحديث :

أخرجه البخارى (6502) كتاب الرقاق ، باب التواضع ، وأخرجه أحمد (26193)

#### \* أهم الفوائد المتعلقة بحديث الباب :

#### الفائدة الأولى : الفرق بين القرآن والحديث القدسي :

حديث الباب حديث قدسي يرويه الصحابي الجليل أبو هريرة -رضى الله عليه- عن النبي صلى الله عليه وسلم .

\*الحديث القدسي " لغة و اصطلاحاً " :

لغة: القدسي نسبة إلى "القدس"؛ أي: الطهر؛ أي: الحديث المنسوب إلى الذات القدسية، وهو الله سبحانه وتعالى.

• اصطلاحاً : هو ما نقل إلينا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل . وبين الحديث

القدسي والحديث النبوي أوجه تشابه وأوجه اختلاف<sup>1</sup>.

\* **وبين الحديث القدسي والحديث النبوي أوجه تشابه وأوجه اختلاف :**

**فهما يتفقان ويفترقان:**

**1- أولاً : أوجه الاتفاق : كلاهما كلام الله -تعالى- لفظاً ومعنى .**

**2-ثانياً : أوجه الافتراق :**

(أ) أن القرآن قد تكلم الله -تعالى- بحفظه ، كما قال عزوجل ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) (9/ الحجر)، ولذا فالقرآن كله قطعي الثبوت و متواتر النقل . وأما الحديث القدسي فليس كذلك ؛ فإن فيه الصحيح وفيه الضعيف .

(ب) أن القرآن قد تحدى الله -تعالى- به مشركى العرب أن يأتوا بمثله ، فهو مُعْجِزٌ بلفظه ومعناه، قال تعالى ( أَمْ يُقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (38/يونس)، وقال تعالى ( أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) (13/هود)، ومثل هذا لم يقع مع الأحاديث القدسية ، فليست الأحاديث القدسية محلّ تحدٍ .

ج - أن القرآن قد تعبد الله -تعالى- الناس بتلاوته ، وتلاوته لا تكون بالمعنى . قال عزوجل ( وَائْتِلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ) (27/ الكهف)

وعن أبى أمامة الباهلي- رضى الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: « أَفْرَعُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، أَفْرَعُوا الزُّهْرَ أَوْ يَنُ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابِهِمَا ، أَفْرَعُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ »<sup>2</sup>.

وعن ابن مسعود- رضى الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لَا أَقُولُ: { الم } حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَا مٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ " .<sup>3</sup>

ومثل هذا لم يقع مع الأحاديث القدسية ، فهي غير مُتعبد بتلاوتها ، ويجوز روايتها بالمعنى .  
**\* عوداً إلى حديث الباب : قوله صلى الله عليه وسلم " إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا "**

قد نص حديث الباب على شرف وقدر أولياء الله عزوجل ، وكما قال أبو العباس ابن تيمية : " : هذا حديث شريف قد رواه البخاري من حديث أبي هريرة ، وهو أصح حديث روي في صفة الأولياء " .<sup>4</sup>

<sup>1</sup> انظر قواعد التحديث (ص/65) وتيسير مصطلح الحديث(ص/158)

<sup>2</sup> أخرجه مسلم (804) باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة .

<sup>3</sup> أخرجه الترمذى(2910) ، وانظر صحيح الجامع(6469)

<sup>4</sup> مجموع الفتاوى (18/129).ولشيخ الإسلام رسالة مستقلة في شرح هذا الحديث بعنوان " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " ، وهي متضمنة في مجموع الفتاوى (11/157) ، وكذلك فقد ألف السيوطي رسالة بعنوان:

قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء :  
 في هذا الحديث عظم قدر الولي ؛ لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه ، وعن انتصاره لنفسه  
 إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق توكله .<sup>5</sup>  
 فالله - تعالى- هو الولي ، الذي يتولى عباده وأولياءه الصالحين بحفظه لهم وهدايته لأحوالهم ،  
 هداية التوفيق والالهام ، ويمن عليهم بكفائتهم من كيد أعدائهم .  
 قال تعالى { إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196) } (الأعراف/196)  
 وقال تعالى ( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ) (البقرة/257)  
 قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: "الله ولي الذين آمنوا"، نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم  
 بعونه وتوقيفه .<sup>6</sup>

وقد سمى الله - تعالى- نفسه بهذا الاسم، فهو من الأسماء الحسنى ، قال الله تعالى { وَهُوَ الَّذِي  
 يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } (الشورى/28)

### \*وتأمل في هذه اللطيفة :

قوله (من عادى لي ولياً) :  
 وإنما قال: «من عادى لي»، ولم يقل: «وليا لي» ؛ تفخيماً لشأن العداوة ؛ لأن في الأول إيذاناً  
 بأن عداوة ولي ، كأنها عداوة الله تعالى ، بخلاف الثاني .<sup>7</sup>  
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :  
 لَمَّا وَقَفَ الرَّبِيعُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعَانِي، فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدِينِهِ ، وَيَقُولُ:  
 «يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلَايَ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى  
 قُلْتُ: يَا أَبَتَهُ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: « اللَّهُ »، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دِينِهِ، إِلَّا قُلْتُ:  
 يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَفْضَ عَنْهُ دِينَهُ ، فَيَقْضِيهِ .<sup>8</sup>  
 وكما أن الله -تعالى- يتولى أولياءه كذلك فإن الله - عز وجل - يتولاه عباده الصالحون بعبادته  
 وطاعته والتقرب إليه بالفقرات ، وفعل الطاعات وترك المنكرات .  
 \* وقد وقع في زماننا لغلط وخط في اصطلاح " أولياء الله " ، فصار هذا اللفظ يطلق على أناس  
 من رؤوس البدع والضلال ، يترك الواحد منهم الصلاة بالكليّة بدعوى أنه قد وصل إلى درجة  
 اليقين ، الوارد في قوله تعالى ( وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) ) (الحجر/99)<sup>9</sup>  
 والتي هي - على زعمهم- منتهى وغاية تحقيق العبادة ، وبذلك يصير ولياً من أولياء الله ، الذين  
 هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون !!  
 حتى إذا مات هذا الولي المزعوم أسس له الضريح وبنى على قبره القباب والمساجد ، وتقرب

<sup>5</sup> "القول الجلي في حديث الولي"، وهي مطبوعة ضمن كتابه " الحاوي للفتاوي" للسيوطي(1/ 560- 564).

وكذلك قد أفرد الشوكاني شرح الحديث في رسالته " قطر الولي على حديث الولي " .

<sup>5</sup> فتح الباري(346/11)

<sup>6</sup> جامع البيان في تأويل القرآن(524/5)

<sup>7</sup> فيض الباري على صحيح البخاري (270/6)

<sup>8</sup> أخرجه البخاري(3129)

<sup>9</sup> ومما يذكر عنهم في قضية سقوط التكليف وسقوط التعبدات أنّ الإنسان منهم يترقى في درجات الوصول ، حتى إذا  
 جاءه اليقين فقد سقطت عنه الشريعة؛ لأنّ الصوفي عندهم يبدأ مُريداً، ثمّ سالكاً، ثمّ واصلاً، والواصل: أي :  
 الذي وصل إلى الحقيقة، وسقطت عنه التكليف ، وسقطت عنه التعبدات .



الناس عنده بشتى العبادات التي لا تُصرف إلا لله تعالى .10  
وهذه من الموازين المختلة والمفاهيم الضالة التي عمت بها بلدان المسلمين و طمت ، وفتنت  
عوام الناس، وسفهاء الأحلام، و سخفاء العقول ، فصاروا يعتقدون في الولي ما لا يُعتقد إلا في  
الله تعالى ، من أن الولي الفلاني يغيث المحتاجين ويفرّج عن الملهوفين ، ويكلم أصحابه  
ويستجيب لمريديه ، ويتصرف في الأمور الدنيوية .  
وما هذا إلا من الخرافات التي ملكت عقولهم الضعيفة، وخزعبلاتهم التي استولت على خيالاتهم  
الفاصلة .

وتزداد القننة عندما تجري على يد ذلك الولي حال حياته الخوارق الشيطانية ، التي تكون  
قاصمة الظهر للعقول المريضة ، فتتشرب الفتنة وتقع في شراكها .

### \* وهنا السؤال : من هو ولي الله تعالى ؟

قد بيّن الله- سبحانه وتعالى - في كتابه طرفاً من صفات أوليائه الصالحين ، فقال تعالى  
( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) )

(يونس/63)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله -تعالى- ولياً .<sup>11</sup>

وقال تعالى { إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } (الأعراف/169)

قال أبو العباس ابن تيمية :

إذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن  
كان أكمل إيماناً وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل، بحسب  
تفاضلهم في الايمان والتقوى .<sup>12</sup>

وقال رحمه الله :

أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى،  
وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا  
من يجب أن يمنع .13

قال ابن حجر :

المراد بولي الله العالم بالله ، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته .<sup>14</sup>  
\* فإنما يُعرف ولي الله - تعالى - بموافقته للكتاب والسنة اعتقاداً وعلماً وعملاً ، حتى وإن جرى  
على يديه ما جرى من خوارق العادات فليست دالة على ولايته ، إلا بعرض هديه وعمله على  
الوحيين ، فإن كان على الجادة فلا شك إنها كرامة ، وأما إن كان من أرباب البدع فلا يكون ما  
يجرى على يديه إلا رجساً من عمل الشيطان ، من باب قوله تعالى { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ

<sup>10</sup> وللتوضيح نقول : أن هذ الأعمال التي تقع عند الأضرحة محرمة بكل حال ، وهي من الشرك والضلال ، سواء فعلت  
عند ضريح رجل كان ولياً حقاً ، أو كان غير ذلك ، وإنما خرج الكلام أعلاه لبيان ما هو غالب في فعل كثير من العامة .

<sup>11</sup> مجموع الفتاوى (316/25)

<sup>12</sup> الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(ص/28)

<sup>13</sup> المصدر السابق(ص/8)

<sup>14</sup> وانظرفتح الباري (342/11) والإتحافات السننية بالأحاديث القدسية(ص/179)

الشَّيَاطِينُ \* تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَقَّاكٍ أَثِيمٍ { [الشعراء : 221 ، 222] . 15

قال يونس بن عبد الأعلى :

" يقول قال صاحبنا - يعني الليث بن سعد - لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته ، فقال الشافعي إنه ما قصر ، لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته . 16  
قال ابن كثير :

وقد استدلل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يدي غير الولي ، بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضاً بما ثبت عن ابن صياد أنه قال :

هو " الدخ " ، و كان يملأ الطريق إذا غضب حتى ضربه عبد الله بن عمر ، وبما ثبت به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة : من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه . 17  
قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وتجد كثيراً من هؤلاء ، عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله ، أنه قد صدر عنه بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة ، .. وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يعتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموافقته لأمره ونهيه . 18

قال الشوكاني :

ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات أن ذلك كرامة من الله سبحانه . فقد يكون من تلبس الشيطان ومكره ؛ بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة ، فإن كانت موافقة لها فهي حق وصدق وكرامة من الله سبحانه . وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك ، فليعلم أنه مخدوع مكور به قد طمع منه الشيطان فلبس عليه . 19

فمن اعتقد في بعض البله أو المولعين ، مع تركه لمتابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وأحواله - أنه من أولياء الله ، ويفضله على متبعي طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فهو ضال مبتدع ، مخطئ في اعتقاده . فإن ذاك الأبله ، إما أن يكون شيطاناً زنديقاً ، أو مجنوناً معذوراً ، فكيف يفضل على من هو من أولياء الله ، المتبعين لرسوله ؟ !  
أو يساوى به ؟! 20

**\* قوله: { من عادي له ولياً } ، وهنا فائدتان :**

15 ومن هذه الأحوال الشيطانية ما ذكره أبو العباس ابن تيمية وقد سئل عن الحلاج- المقتول على الكفر والزندقة سنة 309 هـ- فبين حاله وأحواله الشيطانية ثم قال :

" ومثل هذا يحدث كثيراً لغير الحلاج ممن له حال شيطاني، ونحن نعرف كثيراً من هؤلاء في زماننا وغير زماننا ، مثل شخص هو الآن بدمشق كان الشيطان يحمله من جبل الصالحية إلى قرية حول دمشق ، فيجىء من الهواء إلى طاقة البيت الذي فيه الناس فيدخل وهم يرونه ، وهو من أفرج الناس . وآخر كان بالشويك من قرية يقال لها الشاهدة يطير في الهواء إلى رأس الجبل والناس يرونه ، وكان شيطانه يحمله وكان يقطع الطريق ، وأكثرهم شيوخ الشر . وانظر جامع الرسائل (194/1)

16 تلبس إبليس (ص/16)

17 تفسير القرآن العظيم (140/1)

18 وانظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص/79) رسالة الشرك ومظاهره (ص/179)

19 قطر الولي على حديث الولي (ص/234)

20 شرح الطحاوية (ص/507)

## 1- الأولى :

أي: اتخذه عدوًا، ولا يكون هذا إلا أنه عادى الولي من أجل ولايته الله تعالى ، فإنه يشير إلى الحذر من إيذاء قلوب أولياء الله عز وجل على الإطلاق، إلا أنه إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعاً بين وليين لله في محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق أو كشف غامض، فإن هذا لا يتناول هذا القول، لكنه قد جرى بين أبي بكر وعمر خصومة، وبين العباس وعلي، وبين كثير من الصحابة رضي الله عنهم ما جرى، وكلهم كانوا أولياء الله عز وجل، إلا أن هذا يتناول من عادى ولياً لله مع كونه يشير إلى التحذير من إيذاء ولي الله .<sup>21</sup>

## 2- الثانية :

وقد استشكل وجود أحد يعاديه ولي الله ؛ لأن المعادة إنما تقع من الجانبين ، ومن شأن الولي الحلم والصفح عن من يجهل عليه !؟

وأجيب بأن المعادة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلاً ، بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب ، كالرافضي في بغضه لأبي بكر رضي الله عنه ، والمبتدع في بغضه السني ، فتقع المعادة من الجانبين :

أما من جانب الولي فله تعالى وفي الله تعالى ، وأما من جانب الآخر فلما تقدم وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي في الله تعالى ، ويبغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته له في شهوراته . وقد تطلق المعادة ويراد بها الوقوع في أحد الجانبين بالفعل ومن الآخر بالقوة .<sup>22</sup>

**\* عود إلى حديث الباب : قوله عز وجل " فَإِذَا أَحْبَبْتَهُ: كُنْتَ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ..."**

وهذا الحديث مما ركن إليه أهل البدع من الحلولية والاتحادية في فريتهم المشنومة بأن الله - تعالى- يحل في مخلوقاته ويتحد بهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .  
\* وتعتقد غلاة القبورية جهاراً دون إسرار، ولا حياء من العباد ولا من رب العباد أن الولي قد يصل إلى درجة ، يصل إلى الله ، تعالى - عن الأنداد - بحيث أن الله - تعالى - إنما يحل فيه فيكون الولي مظهراً من مظاهر الله تعالى، أو يكون الولي عين الله تعالى؛ فيكون يد الولي وسمعه وبصره - يد الله وسمعه وبصره؛ فحينئذ طلب المدد من الولي والاستغاثة به - في الحقيقة طلب من الله تعالى واستغاثة به .  
وقد تشبثوا بحديث " من عادى لي ولياً " في إثبات هذا الإلحاد والزندقة وجواز الاستغاثة بالأموات، وطلب الغوث والمدد منهم ؛ بناءً على أن الولي قد صار هو عين الله ، أو أن الله - تعالى - قد حل في الولي .<sup>23</sup>

\* وهذه المسألة التي هي حلول الله واتحاده بخلقه ، أو تجليه في صورهم هي إحدى البدع الكفرية التي تظهر لنا ما وصل إليه غلاة الصوفية ، لذا فقد حكم عليهم أهل الإسلام بالكفر والزندقة .

**\* وإليك طرفاً من أقولهم في هذا الباب :**

يقول ابن الفارض في التائية :

<sup>21</sup> وانظر الإفصاح عن معاني الصحاح(303/7) وقطر الولي على حدث الولي (ص/207) وشرح الأربعين لابن دقيق العيد (ص/101)

<sup>22</sup> انظر فتح الباري(11/342) والسراج المنير شرح الجامع الصغير (1/371)

<sup>23</sup> جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية (1314/3)

ولي من أتم الرؤيتين إشارة... تُنزه عن دعوى الحلول عقيدتي .  
وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر... ولم أعد عن حكى كتاب ولا سنة .  
**\* والمعنى العام :**

أن ابن الفارض يزعم أن الله - تعالى - لا يحل ولا يتحد في شيء من خلقه، وإنما هو يتجلى في صور خلقه، ثم يقول : " وفي الذكر ذكر اللبس ليس بمنكر... " :  
أي : أن القول ذلك التجلي في في بعض صور خلقه ليس بالقول المنكر ، بل إن الذكر - أي القرآن- ما يؤيد ذلك " وهو يقصد أن الله -تعالى- قد تجلى لموسي -عليه السلام- في صورة النار التي رآها ، وكذلك في الشجرة التي قالت \* إنني أنا الله...\*!!!  
يقول سعيد الفرغاني -وهو من أكابر أتباعهم- في شرحه على التائية :  
"وتنزه تلك الإشارة عقيدتي عن رأي الحلول، فإنه لما جاز ووقع أن يكون لملك مخلوق قدرة التلبس بأي صورة شاء، بلا معنى الحلول فيه ، يصح أن يتلبس الحق تعالى بصورتي بفناء أنانيتي بالكلية، وإن تعلت بعدم جواز تلبسه بالصورة ، وعلت بتنزيهه عن ذلك التلبس، منعناك، ورددنا تعليقك بالكتاب والسنة .<sup>24</sup>  
\* وقرين ابن الفارض في هذا الدرب هو ابن عربي النكرة ، له مصنف " فصوص الحكم"، التي قال عنها الذهبي :

" ومن أردا تولى فيه كتاب ( الفصوص ) ، فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر!!! نسأل الله العفو والنجاة .<sup>25</sup>

**ومن قبيح ما قاله ابن عربي :**

فأنت عبد وأنت رب \*\*\* لمن له فيه أنت عبد

وأنت رب وأنت عبد \*\*\* لمن له في الخطاب عهد.

وكان ينفذ جُبته ، ويقول : " ما في الجُبّة إلا الله " .

**\* وله أبيات يقول فيها :**

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي .. إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة .. فمرعى لغزلانٍ وديراً لرهبان

وبيت لأوثانٍ وكعبة طائفٍ .. وألواح توراةٍ ومصحف قرآن

أدينُ بدين الحب أتى توجّهت .. ركائبه ، فالحبُ ديني وإيماني .<sup>26</sup>

قال أبو زرعة العراقي :

<sup>24</sup> وانظر تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (82/1) ، وهو من الكتب التي فضحت وكشفت ضلالات ابن عربي وبيّنت عواره ، صنّفه برهان الدين البقاعي المتوفى سنة 885 هـ ، وقد طبع في ذيلها " وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة

الاتحاد " ، في بيان أقوال العلماء في تكفير ابن الفارض " بتحقيق تلميذ الصوفية (سابقاً) الشيخ عبد الرحمن الوكيل.

<sup>25</sup> سير أعلام النبلاء(48/23)

<sup>26</sup> ترجمان الأشواق ( ص/ 30)

ويقول فريد الزاهي : ويفهم ابن عربي في هذا السياق الآية (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) باعتبارها حكماً مطلقاً. فكل عابد لله لا يعبد إلا في الحقيقة، وهو يعتقد فيه في الصورة التي تجلّى له بها باعتبارها ألوهة، ومن ثم فهو يعبد اعتقاده الألوهي في تلك الصورة. (نقل من مقال " ابن عربي : الصورة والآخر ")



لا شك في اشتغال " الفصوص " المشهورة على الكفر الصريح الذي لا شك فيه ، وكذلك " فتوحاته المكية " ، فإن صحَّ صدور ذلك عنه ، واستمر عليه إلى وفاته : فهو كافر مخلد في النار بلا شك .<sup>27</sup>  
قال ابن حجر :

ذكر لمولانا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، شيئاً من كلام ابن عربي المشكل ، فقال شيخنا البلقيني : هو كافر .<sup>28</sup>

قال شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ :  
تجاسر فيه ابن العربي واجترا ... على الله فيما قال كل المتجاسر

فقال بأنَّ الرب والعبد واحد ... فربي مربوب بغير تغاير

وأنكر تكليفاً ، إذ العبد عنده ... إله وعبد، فهو إنكار فاجر

وقال: تجلى الحق في كل صورة ... تجلى عليها ، فهي إحدى المظاهر .<sup>29</sup>  
**\*وممن ينتظم في سلك هؤلاء وينعق على دربهم : حسين بن منصور الحلاج :**

قال ابن العربي المالكي :

أجمع فقهاء بغداد على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول ، ولم يقبلوا توبته .<sup>30</sup>  
قال أبو العباس ابن تيمية :

صاحب هذا الكتاب المذكور الذي هو فصوص الحكم وأمثاله ، مثل صاحبه القونوي والتلمساني وابن سبعين والششتري وابن الفارض وأتباعهم؛ مذهبه الذي هم عليه:  
أن الوجود واحد؛ ويسمُّون أهل وحدة الوجود ويَدْعُونَ التحقيق والعرفان ، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات ، فكل ما يتصف به المخلوقات من حسن وقبيح ومدح وذم إنما المتصف به عندهم: عين الخالق ، وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها أصلاً ؛ بل عندهم ما ثم غير أصلاً للخالق ولا سواه. ومن كلماتهم: " ليس إلا الله " .<sup>31</sup>

<sup>27</sup> عقيدة ابن عربي وحياته " لتقي الدين الفاسي ( ص 15 ، 16 ) .

<sup>28</sup> وممن كفر ابن عربي بعينه زين الدين العراقي ، فقد قال عنه : " كلامه مسموم ، ظاهره القول بوحدة الوجود المطلقة ، وأن جميع مخلوقاته هي عينه ! وقائل ذلك والمعتقد له كافرٌ بإجماع العلماء " .

وانظر تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (66/1) والعلم الشامخ في إثبات الحق على الأبناء والمشايخ (ص/403) و" عقيدة ابن عربي وحياته " لتقي الدين الفاسي ( ص 39 )

#### **\* لطيفة :**

ومما يستأنس به في بيان ضلال ابن عربي ما حكاه تقي الدين الفاسي في قوله :

سمعت صاحبنا الحافظ أحمد بن حجر يقول: جرى بيني وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة في أمر ابن عربي ، حتى نلت منه لسوء مقالته ، فهددني ذلك الرجل بالشكوى إلى السلطان بمصر ، بأمر غير الذي تنازعنا فيه ، ليتعب خاطري ، فقلت له : ما للسلطان في هذا مدخل ! ألا تعال نتباهل ، فقل أن تباهل اثنان ، فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب ، فقلت له : قل : اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلغتك ، فقال ذلك ، وقلت أنا :

اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلغتك ، وافترقنا ، قال : ثم اجتمعنا في بعض منزهات مصر في ليلة مقمرة ، فقال لنا : مرَّ على رجلي شيء ناعم ، فانظروا فنظرنا فقلنا : ما رأينا شيئاً ، قال : ثم التمس بصره ، فلم يرَ شيئاً ، أي أصابه الله بالعمى ، وما أصبح إلا ميتاً .

وانظر غاية الأمان في الرد على النههاني (454/2) و"عقيدة ابن عربي وحياته" ( ص/75) .

<sup>29</sup> وتقع هذه القصيدة في ستة وسبعين بيتاً ، نقلها المقبلي في كتابه : " العلم الشامخ (ص/504) .

<sup>30</sup> وانظر الشفا (632/2) وشرح الشفا للملا على القاري (ص/534)

<sup>31</sup> مجموع الفتاوى (123/2)

### \*تنبيه:

مما نشير إليه هنا أن التكلف الباطل في توجيه كلام هؤلاء الضالين وحمله على المحامل الحسنة ما هو إلا نوع من التلبيس والتضليل ، وتسمية الأشياء بغير اسمها .  
فقد وقفت على طرف من ذلك لما طالعت بعض شروحات على " فصوص ابن عربي " ،  
أمثال : " حل كلمات الفصوص " لعبد الغنى المقدسي ، وشرح القاشاني على الفصوص .  
فتراهم يأتون على ألفاظ هي من الكفر الصريح فيتأولونها بما يوافق الهوى .  
حتى أن أحدهم وهو يبزر ما نطق به النكرة ابن عربي من الكفریات يقول :  
والذي دعاهم لتكفير ابن عربي الذي حين قال وهو ينفذ جُبتَه :  
" ما في الجُبّة إلا الله " ، لأنهم ظنوه يصف نفسه بالألوهية ، وما كان يقصد سوى أنه لا  
حقيقة إلا الله الموجود في كل شيء ، وما عداه لا شيء !!!<sup>32</sup>  
وأمثلة ذلك كثيرة لمن طالع كتب القوم ، ومن ذلك شرح القيصري على التائية (72/1) والمحب  
المحسوب شرح التائية للكتاني (ص/80)

### \* نقول :

ولكن الأمر ما قاله الفاسي ، وصدق رحمه الله :  
" وبعض المثنين علي ابن عربي يعرفون ما في كلامه من المنكرات، ولكنهم يزعمون أن لها  
تأويلات، وحملهم على ذلك كونهم تابعين لابن عربي في طريقته ، فثناؤهم على ابن عربي  
مطروح لتزكيتهم معتقدهم" <sup>33</sup> .  
وكذلك يقول الذهبي عن ابن عربي :  
وقد عظّمه جماعة وتكلفوا لما صدر منه ببعيد الاحتمالات ، ولا ريب أن كثيرا من عباراته له  
تأويل إلا كتاب (الفصوص) .<sup>34</sup>  
وقد بين الذهبي حقيقة الذين تابوا من أهل الانصاف منهم فقال :  
ولقد اجتمع غير واحد ممن كان يقول بوحدة الوجود ثم رجع وجدّد إسلامه ، وبيّنوا لي مقالة  
هؤلاء أن الوجود هو الله تعالى ، وأنه تعالى يظهر في الصور المليحة والأشياء البديعة .<sup>35</sup>

### \*\*\* عودٌ إلى المقصود :

فترى هؤلاء المأفونين يدينون بعقيدة " وحدة الوجود " ، وأن جميع ما في هذا الكون شيء  
واحد في الحقيقة ، وإنما الفرق في الأحكام والآثار، وأن الخالق والمخلوق شيء واحد في  
الحقيقة، فما ثم إلا هو ، وإنما الفرق بالا اعتبار لا بالحقيقة .  
بل ويعُدّون أن التوحيد هو الاعتقاد بوحدة الوجود ، فالموحد عند الصوفية الوجودية الاتحادية  
هو المعتقد لذلك .

وإن تعجب فعجب قولهم ؛ أنهم لا يتحركون إلا بأثر !!

وهذا معنى كلام ابن الفارض في التائية : " ولم أعد عن حكيم كتاب ، ولا سنة " <sup>36</sup>

<sup>32</sup> من مقال " لماذا توقفنا عن استخدام عقننا؟! " للكاتب أسامة الشاذلي من موقع " الميزان " .

<sup>33</sup> " عقيدة ابن عربي وحياته " لتقي الدين الفاسي ( ص / 39 )

<sup>34</sup> سير أعلام النبلاء(48/23)

<sup>35</sup> وانظر تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (347/15) وتنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ((181/1))

<sup>36</sup> وانظر شرح القيصري على التائية (72/1) والمحب المحسوب شرح التائية للكتاني (ص/80)

### \*ومما يستدلون به :

أن موسى - عليه السلام- لما رأى ناراً وجاءه سمع قول الله ( إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (12) )، فظهر الله -تعالى - لموسى في صورة النار !!! وكذلك ظهر له في صورة الشجرة !!

### \* ومما استدلوا به من السنة على زعمهم الباطل :

حديث الباب ؛ وذلك في قول الله تعالى : " فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،... ) فقد قال ابن عربي تشبهاً بهذا الحديث بعد تحريفه :

" أخبر محمد - صلى الله عليه وسلم - عن الحق تعالى : (بأنه عين السمع، والبصر، واليد، والرجل، واللسان، أي هو عين الحواس)!!!<sup>37</sup> .  
وها هو سمع بل لسان أجل بدا ... لنا هكذا بالنقل أخبر شارع

فعم قوانا والجوارح كونه ... لساناً وسمعاً ، ثم رجلاً تسارع .<sup>38</sup>  
وتراهم يزعمون أن الولي إذا صار سمع الله وبصره ويده تسلب عنه قواه البشرية، ويعطى القوة الربوبية والألوهية، فيستحق العبادة، ولا سيما الاستغاثة به، فإنه هو الله ، أو حل فيه الله !!

قال سليمان الطوفى :

والاتحادية زعموا أن قوله " كنت سمعه ... " على حقيقته ، وأن الحق عين العبد ، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر ، قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .<sup>39</sup>

### \*نقول :

ولا شك أن حمل حديث الباب على هذه التأويلات الباطلة قد أوقعت فئام من هؤلاء المتجرئين في هذه البدعة الكفرية ، بدعة الحلول والاتحاد .  
وإنما المقدم في تأويل حديث الباب أن العبد لا يزال يرتقى في مقامات العبودية بأداء الفرائض ، ويتزلف لرب البرية بالسنن والنوافل حتى يفتح عليه بالتوفيق والتسديد ، فيكون عبداً موفقاً في سمعه وبصره ولسانه ، فلا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخطو خطوة إلا فيما يكون موافقاً لمرضاة الله عزوجل .  
قال أبو العباس ابن تيمية :

فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم لقوله: " كنت سمعه وبصره ويده ورجله " ،  
والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة:  
- منها قوله: {من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة} ، فأثبت معادياً محارباً وولياً غير المعادي ، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا .  
ومنها قوله: {وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه} فأثبت عبداً متقرباً إلى ربه ،

<sup>37</sup> وانظر شرح فصوص الحكم للتلمساني (ص/70) ولواقح الأنوار للشعراني (ص/7) والقول المنبني عن ترجمه ابن عربي للسخاوي (ص/70)

<sup>38</sup> المعارف الغيبية في شرح قصيدة النادر العينية (ص/27)

<sup>39</sup> وانظر التعيين في شرح الأربعين (ص/320) وفتح الباري شرح صحيح البخاري (11/344)

ورباً افتراض عليه فرائض.

ومنها قوله: {ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه} فأثبت متقرباً ومتقرباً إليه ، ومحباً ومحبوباً غيره. وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد. <sup>40</sup>  
وقال رحمه الله :

والحديث حق كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن ولي الله لكمال محبته لله وطاعته لله يبقى إدراكه لله وبالله و عمله لله وبالله ؛ فما يسمعه مما يحبه الحق أحبه ، وما يسمعه مما يبغضه الحق أبغضه ، وما يراه مما يحبه الحق أحبه ، وما يراه مما يبغضه الحق أبغضه؛ ويبقى في سمعه وبصره من النور ما يميز به بين الحق والباطل. <sup>41</sup>  
وقال رحمه الله :

وفي رواية في غير الصحيح: {فبي يسمع وببي يبصر وببي يبطش وببي يمشي} <sup>42</sup> فقوله: " بي يسمع وببي يبصر وببي يبطش وببي يمشي " بين معنى قوله: { كنت سمعه وبصره ويده ورجله } لا أنه يكون نفس الحدقة والشحمة والعصب والقدم وإنما يبقى هو المقصود بهذه الأجزاء والقوى وهو بمنزلتها في ذلك. <sup>43</sup>  
قال ابن حجر :

ولا متمسك للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة ؛ لقوله في بقية الحديث " ولئن سألتني ، ولئن استعاذتني...." ، فإنه كالصريح في الرد عليهم . <sup>44</sup>  
قال الشيخ ابن العثيمين :  
فلو قال قائل:

ظاهر الحديث أن الله -تعالى- يكون سمع الإنسان وبصره ويده ورجله ، فلماذا تقولون هذا الحديث وتقولون: " إن المراد أن الله يسدد هذا الرجل في سمعه وبصره ومشيه وبطشه " ؟

فالجواب أن نقول:

لأن عندنا دليلاً يدل على ذلك، وهو قول الله عز وجل في الحديث القدسي: ( وما تقرب إلي عبدي ... فهنا يوجد عابد ومعبود ، ويوجد متقرب ومتقرب إليه (ما تقرب إلي عبدي) ، ويوجد فارض ومفروض عليه (مما افترضت عليه) وفيه أيضا سائل ومسئول، ومعطي ومعطى،

<sup>40</sup> مجموع الفتاوى (371/2)

<sup>41</sup> المصدر السابق (373/2)

<sup>42</sup> تنبيه :

وأما رواية " فبي يسمع وببي يبصر ... " فقد أوردها ابن حجر في الفتح ( 11 / 344 ) نقلاً عن الطوفي ، ولم يعزها إلى أي مصدر . وقد ذكرها الحكيم الترمذي في " نواذر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم" (265/1) دون سند .

ولما ذكر الذهبي ترجمة " إسماعيل بن عز القضاة " ، قال : وكان شيخنا ابن تيمية يعظمه ويبالغ، حتى وقف على أبيات له أولها:

وحياتكم ما إن أرى لكم سوى ... إذ أنتم عين الجوارح والقوى

فتألم له وقال: هذا الشعر عين الاتحاد. قلت: إنما أراد أن ينظم قوله عليه السلام: «فإذا أحببتك كنت سمعه الذي يسمع به» . الحديث. فقال: سياق الحديث يدل على بطلان هذا. وهو قوله: فبي يسمع وببي يرى، وما في الحديث أن البارئ تعالى يكون عين الجوارح، تعالى الله عن ذلك .

قلت (أى الذهبي): لم أجد هذه اللفظة «فبي يسمع وببي يبصر» إلخ. (تاريخ الإسلام (361/51))

قال الشيخ الألباني (الصحيحة 4/191) " ولم أر هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين "

- وقد حكم الشيخ عبد العزيز الجليل بضعفها في تحقيقه لمدرج السالكين (61/2).

<sup>43</sup> المصدر السابق (390/2)

<sup>44</sup> فتح الباري شرح صحيح البخاري (345/11)

ومستعيز ومستعاذ به، في قوله: (ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه) .  
وكل هذا يدل على التباين بين هذا وبين هذا، فإذا كان هذا دالا على التباين فكيف يكون هذا  
الشيء المباين بعضا من الشيء المباين؟! وكيف يكون سمعه وبصره ويده ورجله؟!  
فهذا مستحيل.

وأیضا السمع والبصر واليد والرجل بعض من المخلوق ولا يمكن أن يكون بعض المخلوق هو  
الخالق، فهذا شيء مستحيل.<sup>45</sup>  
قال ابن رجب :

من اجتهد بالتقرب إلى الله بالفرائض، ثم بالنوافل، قربه إليه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة  
الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى،  
ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصير هذا الذي  
في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة .  
فمتى امتلأ القلب بعظمة الله - تعالى - محاذ ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من  
نفسه وهواه، ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه، فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره، ولا يتحرك إلا  
بأمره، فإن نطق، نطق بالله، وإن سمع، سمع به، وإن نظر، نظر به .  
فهذا هو المراد بقوله: ( كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش  
بها، ورجله التي يمشي بها ) ، ومن أشار إلى غير هذا، فإنما يشير إلى الإلحاد من الحول ،  
أو الاتحاد، والله ورسوله بريئان منه .<sup>46</sup>

### \* عود إلى حديث الباب ::

قوله عزوجل : " وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ

فهل

مَسَاءُ تَهُ "

يوصف الله -تعالى- بصفة التردد؟؟<sup>47</sup>

والجواب هنا لا يكون بإطلاق الإيجاب ، ولا بإطلاق النفي ، بل عندنا مقدمتان يبنى عليهما  
تحرير معنى التردد المراد في حق الله تعالى :

(أ) الأولى :

أصل استعمال هذه الكلمة إنما يكون لمن نازعها أمران يريد فعل واحد منهما ، ولكنه لجهله  
بعاقبة هذا الاختيار فقد صار متردداً بينهما .

(ب) الثانية :

أن التردد على المعنى المذكور في المقدمة الأولى مما يُنزه الله - تعالى - عنه ؛ فإن علم الله -  
عزوجل - مما وسع كل شيء ، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف

<sup>45</sup> شرح العقيدة السفارينية لابن العثيمين(ص/130)

<sup>46</sup> جامع العلوم والحكم (347/2)

<sup>47</sup> وقد أورد النووي حديث الباب هذا في (الأربعين النووية) ، ولكن دون قوله تعالى (وما ترددت عن شيء أنا فاعله  
ترددي عن قبض نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته)

فعل اختصاره له هو من باب مراعاة حال السامعين ؛ وذلك لكون هذه الأربعين معدة للمبتدئين في طلب العلم ، وبعض  
العلم لا يصلح لكل أحد . والله تعالى أعلم . وقد يؤبّ البخاري في الصحيح على أثر علي - رضي الله عنه - الموقوف في  
كتاب العلم بقوله (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم، كراهية ألا يفهموا) .

وانظر " التوضيح الرشيد في شرح التوحيد " المذيل بالتنقيح لشبهات العنيد ، لأبي عبد الله الحقوي(ص/334)



كون { وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا }

فينبني على هاتين المقدمتين أن التردد الواقع في حق الله - تعالى - ليس من جنس التردد الذي يقع للبشر ، والذي منشأه عندهم من الجهل بعواقب الأمور ، ( أليس كمثله شيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11) ) (الشورى 11) ، وإنما التردد المراد قد بيّنه سياق حديث الباب ، ( يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ .. ) ، يكون بين أمرين :  
الأول :

" انفاذ ما قدّر من موت المؤمن ، ولا شك أنه قضاء نافذ لا محالة ، قال تعالى ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ )"  
الثاني :

" كراهية ما يحصل من مساءة المؤمن بتقدير الموت عليه " .  
فصار الأمر محبوباً من جهة ومبغوضاً من جهة ، محبوب من جهة أنه يؤدي إلى ما هو خير ؛ فبالموت ينتقل المؤمن إلى ما هو خير له ، ومكروه من جهة أن العبد يكره ذلك .<sup>48</sup>  
**\*فإن قيل :**

كيف يكون العبد ولياً لله - تعالى - وهو يكره الموت ولقاء الله عز وجل ؟  
**\* وجوابه :**

لا شك أن المؤمن يحب لقاء ربه عز وجل ، ولكنه كذلك يحب الاستزادة من أعمال الخير؛ ليزداد رفعة عند ربه عز وجل ، وقد سئل رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟  
فَقَالَ : " مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ " <sup>49</sup> .  
**\* قال ابن هبيرة :**

المؤمنون لا يكرهون الموت إلا لنقلهم من الخدمة إلى النعمة، فيرون أنهم لم يقضوا نهمهم من عبادة الله ولا من خدمته سبحانه في أرضه، فإذا نقلوا إلى مقر الراحة وموطن الإباحة ومحل النعم، لم يكونوا إلى ذلك مشتاقين ولا عليه متهافتين.

**\*فأما من دون هؤلاء في المقام، فإنهم قد يكرهون الموت لخوفهم من بعض أعمالهم، ويحبون البقاء لتدارك الفائت وتلافي الفارط.**

<sup>48</sup> وقد ذهب جملة من شراح هذا الحديث إلى تأويل صفة التردد وصرافها عن ظاهرها ، وذلك بنفي صفة التردد عن الله تعالى، وإلى هذا ذهب الخطابي وابن حجر والشوكاني والسيوطي وابن الجوزي ، وهو مسلك أهل التأويل من شراح الحديث وغيرهم.

بل إن هذا مما دفع الذهبي إلى الكلام في سند الحديث ، فقال :

فهذا حديث غريب جداً، لولا هبيرة الجامع الصحيح لعدته في منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه !

ومن جملة التأويلات البعيدة التي ذكروها لمعنى التردد الوارد في حديث الباب ، منها :

(أ) هو من تردد العبد حين يصاب بداء ، فيدعو الله فيشفيه منه ، ثم يبدو له أن يتركه ويعرض عنه ، فلا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله، فإنه قد كتب الفناء على خلقه.

(ب) أن يكون معناه : "ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله ترديدي إياهم في نفس المؤمن، كما روى من قصة موسى وملك الموت صلوات الله عليهما وما كان من لطمه عينة وتردده إليه مرة أخرى .

(ج) وهو أن يكون خطاباً لنا بما نعمل، والرب عز وجل ينتزه عن حقيقته، بل هو من جنس قوله : " ومن أتاني يمشي أنتيته هرولة " . فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديباً ، فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما .

إلى غير ذلك من التأويلات البعيدة التي تصرف الحديث عن ظاهره من غير قرينة توجب ذلك ، ولا ريب أن المسلك المذكور أعلاه هو المسلك الجاري على قواعد أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وذلك بحمل الحديث على ظاهره، وإثبات التردد صفة لله - تعالى - على ما يليق بجلاله وعظمته.

وانظر أعلام الحديث(3/2260)وكشف المشكل من حديث الصحيحين (3/527)وميزان الاعتدال(1/642)

وقطر الولي(ص/470) والقول الجلي في حديث الولي(1/436)

<sup>49</sup> أخرجه الترمذى (2330) ، وأحمد (20518) ، انظر صحيح الجامع (3297)

ودون هؤلاء أيضاً: من يكره الموت؛ لأنه لم يقض بعد أشغاله، ولم يفرغ من استعداد جهازه للقاء ربه. 50

\* قال أبو العباس ابن تيمية :

المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور ، لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا ؛ فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ثم هذا باطل ؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب ، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد ، ... فإذا أتى العبد بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق؛ فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة بحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه محبوبه والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه. والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضى به فهو يريد ولا بد منه ، فالرب يريد لموته لما سبق به قضاؤه ، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، فصار الموت مراداً للحق من وجه مكروهاً له من وجه .

وهذا حقيقة التردد وهو: أن يكون الشيء الواحد مراداً من وجه مكروهاً من وجه ، وإن كان لا بد من ترجح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت ؛ لكن مع وجود كراهة مساءة عبده ، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد مساءته. 51

وقال رحمه الله :

والمقصود هنا التنبيه على أن الشيء المعين يكون محبوباً من وجه مكروهاً من وجه ، وأن هذا حقيقة التردد ، وكما أن هذا في الأفعال فهو في الأشخاص ، والله أعلم. 52

**تم بحمد الله تعالى .**

50 الإفصاح عن معاني الصحاح (306/7)

51 بتصريف يسير من مجموع الفتاوى (131/18)

52 مجموع الفتاوى (135/18)